



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية أصول الدين/ مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

الملتقى الوطني:

"عناية الجزائريين بصحيح الإمام مسلم وباقي كتب السنة النبوية؛
التاريخ، الامتداد، الآفاق".

يومي: 27-28 أبريل 2026 الموافق لـ: 10-11 ذو القعدة 1447هـ (حضورى، وعن بعد)

ورقة بحثية تدخل ضمن المحور الأول: مرجعية صحيح مسلم وباقي كتب السنة النبوية الدينية، ومكانتها
في الدرس الفقهي والحديثي بالجزائر؛ تأصيل وتقرير.

عنوان البحث:

من مظاهر عناية علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن الرابع عشر الهجري.

إعداد الباحث:

د/ يونس بوحامادو

دكتوراه علوم؛ تخصص: الكتاب والسنة
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر 1 (الجزائر)

y.bouhemadou@univ-alger.dz

رقم الهاتف: 0554-34-29-40

ملخص البحث باللغة العربية: اعتنى علماء المسلمين بصحيح الإمام مسلم عناية فائقة، وقد شملت جميع جوانب الخدمة المعرفية المتاحة؛ روايةً ودرايةً، تحمُّلاً وأداءً، وذلك لما توفر في هذا المصنف الحديثي من مميزات وخصائص، جعلت الأمة تتلقاه بالقبول، وتكتنفه بالخدمة الشاملة؛ من جميع جهاتها وتخصصاتها، وهو ما تجلّى في فروع العلوم الإسلامية المختلفة، وقد شارك علماء الجزائر في خدمة صحيح الإمام مسلم عبر العصور الحضارية لهذا القطر.

حاولنا في هذه الورقة البحثية المركزة؛ استجلاء أهم جوانب عناية علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم في القرن 14هـ، والتي تجلّت -بكل موضوعية- في مشاركة علماء الجزائر في خدمة صحيح الإمام مسلم من شتى النواحي؛ قراءة وشرحاً، إجازة واستجازة، ثناءً ومدافعة، زيادة على حضور مروياته وأحاديثه في جميع فروع الدرس الإسلامي؛ كالدرس العقدي، والدرس الفقهي، وهو ما يؤكد اتصال أسانيد هذا المصنف في القطر الجزائري في تلك الفترة الخطيرة؛ رغم ظروف الغزو الصليبي الفرنسي للجزائر.

الكلمات المفتاحية: عناية- علماء- الجزائر- صحيح مسلم- القرن 14هـ.

Aspects of Algerian Scholars' Scholarly Engagement with Sahih Muslim in the Fourteenth Hijri Century

Abstract:

Muslim scholars have accorded Sahih of Imam Muslim ibn al-Hajjaj outstanding and sustained attention, extending to the full range of scholarly service available to them, transmission and critical study, reception and delivery.

This enduring preoccupation is rooted in the distinctive features and methodological strengths of this hadith compilation, which led the Muslim community to receive it with broad acceptance and to support it with comprehensive scholarly care across fields and specializations. Within this wider tradition, Algerian scholars made notable contributions to the service of Imam Muslim's Sahih across successive historical periods in Algeria.

This focused paper seeks to identify the principal manifestations of Algerian scholars' engagement with Imam Muslim's Sahih during the fourteenth century AH. It documents—on an objective basis—their participation through multiple avenues: public reading and pedagogical transmission; commentary and explanation; the granting and requesting of scholarly authorization (ijāzah and istijāzah); and scholarly commendation and defense of the work. It further highlights the pervasive integration of its narrations and hadiths into diverse branches of Islamic learning, including theology and jurisprudence. Taken together, these indicators confirm the continuity and vitality of the transmission chains (asānīd) of this compilation within Algeria during that critical period, despite the pressures and disruptions associated with the French colonial invasion.

Keywords: scholarly engagement; scholars; Algeria; Sahih Muslim; fourteenth century AH.

1/ مقدّمة

اعتنى علماء المسلمين - باختلاف توجهاتهم واختصاصاتهم - بالجامع الصحيح للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، وقد شملت هذه العناية جميع الجوانب الممكنة لدراسة علمية شاملة لمصنّف من المصنّفات الحديثية المعتبرة؛ مع ما ناله هذا السّفَر من مزايا العناية والتقديم، وتسميته ثاني اثنين من أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وهو ما حصّله الإمام مسلم في صحيحه؛ بسلوكة دقة الانتقاء للمرويات، وجودة الصّناعة التّأليفية، مع ما أسّس عليه من اشتراطات دقيقة للاحتجاج والاعتبار، وما قام عليه من انتقاء للمرويات والآثار، ونظر حديثي دقيق في الأسانيد والمتون.

لم يتخلف علماء الجزائر⁽¹⁾ عن هذا الركب العلمي الحافل؛ في العناية والخدمة، ولم يتنكّب هذا القطر - بحواضره العامرة - عن غيره من أقطار العالم الإسلامي، فقد شارك أقطابه في ميادينه مشاركة حافلة، وسمها التأثير والاعتبار، وخُتم على بعضها بختم الأولوية والجِدّة، ووردت أسماء أعلامه مع الأفضال ممن خدموا صحيح الإمام مسلم، وأخذت تأليفهم أخذ احتفاء ومرجعية في أبوابها واختصاصاتها، وهي المشاركات التي تكرر ذكرها، وتقرر فضلها في العالم الإسلامي إجمالاً، وفي الغرب الإسلامي عموماً، وفي إفريقية⁽²⁾ تخصيصاً، وفي القطر الجزائري معاصرة وتحديداً، فحازت الاعتراف من هذه الجهات والاعتبارات جميعها.

شملت عناية الجزائريين بصحيح مسلم؛ جانبي الرواية والدراية، وجهتي التحمّل والأداء، كما حافظ علماؤه المتصدرون على حضوره - حضور أولية وتقديم - في درسهم الحديثي؛ قراءة وسماعاً، شرحاً وتعليقاً، دراسة ونقداً، ودفاعاً وذبّاً، وصنّفوا في مناقبه، وناقحوا عن رجاله وأسانيده، وقدموا متونه ورواياته، وحصلوا ثمين أصوله ومخطوطاته⁽³⁾.

(1): الجزائر: "...فهذا المفهوم لكلمة (الجزائر) لم يصبح معروفاً إلا منذ القرن العاشر أي أثناء الحكم العثماني، بل إن عبارة (المغرب الأوسط) التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية، لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى، المغرب الأقصى) كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب العربي"، د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (المحمدية- الجزائر: عالم المعرفة، د/ط، 2017م)، (ج: 01، ص: 40).

(2): إفريقية: "...حدود إفريقية شرقاً؛ مدينة طرابلس وما وازاها من جهة البر بدخول الغاية، والبحر الأبيض المتوسط، وشمالاً نفس البحر، وغرباً مدينة بجاية وما وازاها بدخول الغاية، وجنوباً الصحراء الكبرى، ومن إفريقية كل من قسنطينة، وقلعة بني حماد، وورجلة وبلاد الزاب"، د/ مسكين ضوء سالم، الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، (قبلي- تونس: الدار المالكية، ط/01، 1440هـ-2019م)، (ج: 01، ص: 32).

(3): يُنظر: البوعبدلي المهدي، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، الحياة الثقافية بالجزائر، (الحراش- الجزائر: دار المعرفة الدولية، ط/خاصة، 2013م)، (ص: 40).

لم تنقطع أسانيد خدمة علماء الجزائر لصحيح مسلم خلال الامتدادات التاريخية المتعاقبة، رغم ما مرّ به القطر الجزائري؛ من تغيرات حضارية وسياسية، وتقلبات ثقافية وعلمية؛ تميّز بعضها بالحدّة والخطورة، فألزمت هذه الأوضاع والأحوال الواقعَ بلوازم التآثر والتأثير، وأخذت بتلك الجهود -ارتقاء ونزولا- بين منازل الازدهار ودركات الانحطاط، إلى أن عاشت الأمة الجزائرية أقسى أطوارها التاريخية؛ حين غزاها الاحتلال الصليبي الفرنسي أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وما عمل عليه -لأكثر من قرن- من استلاب حضاري شامل، وسعي لطمس كل معالم الشخصية الإسلامية الجزائرية، وهو ما يحملنا على السعي إلى الإجابة عن إشكالية معرفية حقيقية؛ فحواها: هل انقطعت أسانيد خدمة صحيح مسلم في الجزائر خلال القرن الرابع عشر الهجري؟، وهل هناك معالم لأي جهد معرفي جزائري معتبر للاعتناء بهذا المصدر الحديثي الأصيل؟.

يمكن الإجابة عن الإشكالية السابقة في إطار منهجي مركّب، تطغى عليه ثنائية المزاجية بين الاستقرار والتحليل، أما الأول؛ فتتأكد الحاجة إليه في الرجوع إلى المصادر والمراجع ذات الاهتمام بالموضوع، والتي تعرّضت للدرس الحديثي الجزائري الخادم لصحيح مسلم؛ إما دراسة أو إشارة، لتشفع المادة المستقاة والإشارات المنتقاة بالدراسة والتحليل، مع ما يتخلله من لوازم المنهج الوصفي، ولعل هذا المسلك المنهجي كفيل بتحقيق المقاصد المعرفية من هذه الورقة البحثية، ومُعين على الوصول إلى إجابات موضوعية عن الإشكالية آنفة الورد.

تفرض علينا محصّلة المادة العلمية المنقاة، وخصوصيات الموضوع المطروق، وخصائص مثل هذه المداخلات العلمية؛ عرض عناصر البحث ضمن خطة بحثية إجمالية، تقوم على مبحثين اثنين؛ يتجه أولهما إلى بيان مظاهر عناية علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن 14هـ تحمّلا وأخذًا، وأداءً وتبليغًا، ليشفع بالمبحث الثاني؛ المتضمن استجلاء أهم جهود أقطاب الدرس الحديثي الجزائري في توظيف صحيح مسلم في شتى فروع الدرس الإسلامي وعلومه، مع ما يندرج تحت هذين المبحثين من مطالب وفروع؛ تتنوع حسب الحاجات المعرفية، والضرورات البحثية.

نستطيع الإجابة عن إشكالية البحث تحت عنوان اجتهادي؛ ندّعي استيفاءه وإحاطته بعناصر الموضوع من جهة، ومنعه للواردات غير المقصودة ولا المرادة من جهة مواجهة، والذي استقر تحديده على ما يأتي: من مظاهر عناية علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن الرابع عشر الهجري، فقد جمع هذا العنوان بين الاحترازات الموضوعية الدقيقة، والتحديدات الزمنية والجغرافية الواضحة، مع تصديره بضابط التبعية والبيان؛ الدال على عدم ادّعاء الاستقصاء والحصر، وذلك دفعًا ورفعًا للاعتراضات المستدرّكة، خاصة في مجالات الغنى والثراء؛ كالتراث الحديثي الجزائري.

2/ المبحث الأول: من مظاهر عناية علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن 14هـ؛ تحملاً وأداءً⁽¹⁾.

لا يمكن الوصول إلى نهايات موضوعية في مثل هذه البحوث؛ إلا بدراسة القضية من جانبي التحمل والأداء، ومن جهتي الرواية والدراية، لكون هذه الاعتبارات هي الأسس التي يمكن من خلالها الجزم بخدمة مصنف حديثي من عدمه، وباستجلائها يمكن التعرف على عناية علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن 14هـ، وتحليل جوانب هذه العناية وتجلياتها، سواء؛ من حيث الاتجاهات والتوجهات، والقوة أو الضعف، والتقليد أو التجديد.

1-2/ المطلب الأول: من مظاهر عناية علماء الجزائر بتحمل صحيح مسلم؛ رواية ودراية، في

القرن 14هـ⁽²⁾.

تحملنا محامل الاضطرار في هذا السياق العلمي الحساس؛ على التذكير بأن التراث الإسلامي عموماً، والتراث الحديثي الجزائري على وجه التخصيص والعناية؛ قد اندرست كثير من معالمه في القرن 14هـ، وضاع إنتاج جليل من آثاره، فالطابع الإشاري في هذا الجانب؛ ليس علامة عقم معرفي، ولا أمانة خواء علمي، ولا دليل فيه على ضعف مشاركة علماء الجزائر لإخوانهم في حواضر العالم الإسلامي، بل هو أثر سوء من آثار الغزو الصليبي العنيف الذي تعرض له القطر الجزائري لقرن وثلثه، والذي كان الإسلام ومعارفه هم أول ضحاياه، وأكثر مراميه.

في هذه القضية الدقيقة؛ قال الدكتور أبو القاسم سعد الله صرط: "ولقد عثرنا في التراجم على بعض الإشارات إلى وجود شروح في الحديث النبوي، وبعض المؤلفات أو التقايد حول صحيح البخاري وصحيح مسلم، ولكنها إشارات خاطفة وعناوين مجردة، لا تدل على الجهد الذي يستحقه عمل في هذا المجال... وظلت مع ذلك مبالغة بعض الرحالة تؤكد أن علماء الجزائر مشهورون برواية الحديث..."⁽³⁾، وفي هذا النص يمكننا استنتاج القضايا الآتية:

(1): 1/ تحمل الحديث: "هو تلقي الحديث وأخذه عن الشيوخ"، الغوري سيد عبد الماجد، موسوعة علوم الحديث وفنونه، (دمشق-سوريا: دار ابن كثير، ط/02، 1433هـ-2012م)، (ج: 01، ص: 433).

2/ أداء الحديث: "هو رواية الشيخ الحديث لطلابه بعد تحمله من شيخه بأحد ألفاظ الأداء"، المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 184).

(2): بداية القرن 14هـ ونهايته بالتأريخ النصراني؛ قال العلامة أحمد حماني صرط: "أطل علينا هذا القرن الذي مضى بما فيه؛ بإهلال المحرم من عام 1300/ الموافق ل: 12 نوفمبر 1882، ثم اختفى بنهاية يوم الثلاثاء 30 ذي الحجة 1399هـ/ الموافق ل: 20 نوفمبر 1979م"، حماني أحمد، محاضرات ومقالات الشيخ العلامة أحمد حماني، جمعها واعتنى بها: عبد الرحمن دويب، (المحمدية - الجزائر: عالم المعرفة، ط/02، 2015م)، (ج: 01، ص: 433).

(3): د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج: 07، ص: 40).

1/ قلة الدراسات الاستقصائية المستقلة؛ التي تناولت الدرس الحديثي في الجزائر عبر العصور؛ بالوصف والتحليل، وهو ما يضطر الباحث إلى جمع المادة العلمية من مظان التأريخ للمنتوج الثقافي الإسلامي الجزائري، وجمعها من مراجع لا يدلّ كثير منها على احتوائه تراثا حديثيا، ولا يخفى على المشتغلين صعوبة البحوث الاستقرائية، "وهو عمل ليس بالهين ولا بالميسور لكل أحد، لأن ذلك يقتضي اطلاعا واسعا وبرنامج قراءة ممت المجلدات؛ باعتبار أن عددا من تلك الكتب تذكر استطرادا في غير مظان ذكرها، كما أن معرفة وجود الكتاب ومكان وجوده من أشق ما يجابه الباحث في هذا الموضوع"⁽¹⁾.

2/ الطابع الإشاري للتراث الحديثي الجزائري؛ وهو ما يفرض على الباحث ضرورة التعامل مع القضية من خلال معطيات مختصرة، ولا يخفى على المشتغلين في هذا الميدان بأن أصعب أنواع البحث الاستردادي؛ هو الذي يكون العمل والاشتغال فيه منطلقا من مادة علمية مركّزة ومختصرة، خاصة إذا وصل هذا التركيز والاختصار إلى حدّ الترميز، وهناك يجد الباحث نفسه مضطرا إلى المنهج التفكيكي الدقيق؛ مع ما يتطلبه هذا الأخير من استجماع واستحضار لأدوات النظر، كما تؤدي هذه الجزئية في المنطلقات -استلزاما-؛ إلى الجزئية والمحدودية في النتائج والأحكام، لعدم توفر النصاب التراثي المطلوب.

لقد دفع هذا الواقع الباحثين إلى الحكم على التراث الحديثي الجزائري الموجود بأحكام قاسية، وبأن "التأليف المتعلقة بالتفسير والحديث كانت في جملتها قليلة وغير أصيلة"⁽²⁾، والقلة هنا قلة حادثة لا أصلية؛ فرضتها آفات الضياع والاندثار للإنتاج التراثي الحديثي الحقيقي لأعلام الجزائر، فليست القلة في هذا السياق قلة كتابة أو مشاركة، وهو ما يعني بأن الإشارات والدراسات الموجودة لا تعبّر عن الحجم الحقيقي للتراث المنتج خلال الأطوار الحضارية التي مرت بها الأمة الجزائرية في هذا العلم الشريف.

3/ عدم دلالة التراث الموجود على حقيقة الجهود؛ فالمؤرخ أبو القاسم سعد الله صرّط يقرّ بأن المطّلع عليه والموصول إليه من إشارات وعبارات؛ لا تدل على الجهود الحقيقية لعلماء الجزائر، وإسهاماتهم الجادة في الدرس الحديثي عموما، وفي العناية بالصحيحين على وجه التخصيص، والموضوعية في البحث تأبي الاقتصار عليها والاكتفاء بها، زيادة على الأدلة والقرائن الأخرى؛ الدالة على كثرة شروح علماء الجزائر وتقاييدهم على الصحيحين، وإجماع الرحالة والوافدين والزائرين؛ على الإشارة والإشادة إلى تمكن علماء الجزائر وشهيرتهم في علوم الحديث؛ رواية ودراية، إفادة واستفادة.

(1): د/ إبراهيم بن الصديق، التليدي محمد بن عبد الله، تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، (بيروت - لبنان: دار البشائر الإسلامية، ط/01، 1416هـ-1995م)، (ص: 20).

(2): د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج: 02، ص: 67).

مما سبق يتأكد على الأمة الجزائرية أن تلتفت إلى تراثها الحديثي بالبحث والتنقيب، والتأريخ لأطواره في هذا القطر الحافل، ووصل أسانيد الحاضر بالجهود السابقة، حفظاً لها من آفات الانقطاع، وصيانة للناشئة من الانفلات الحضاري والفكري المزمّن، وأن يكون هذا الالتفات (مشروع أمة)؛ يشارك فيه جميع الفاعلين، كلٌّ من مقامه ومسؤولياته، مع كون رأس المشروع من جامعاتنا وكلياتنا؛ بمخابرها العلمية، وفرقها البحثية، وأطروحاتها في الدراسات العليا، زيادة على المجمع والملتقيات الجادة، وهو ما يسير في الجزائر بخطى ثابتة، وإسهامات نافعة؛ كما تشهد به الملتقيات التي تعقدها جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة⁽¹⁾، والأعمال البحثية الجماعية لكلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي⁽²⁾.

أدرك الدارسون والباحثون في هذا الموضوع؛ حتمية الاعتناء بهذه القضية، والعمل على استكمال هذا المشروع، وذلك لغايتين رئيسيتين؛ تتجه الأولى إلى التحصين الذاتي للأمة الإسلامية، والإجابة عن الأسئلة والإشكالات الداخلية، فيما يشغل الفرع الثاني بمواجهة القراءات غير الإسلامية، والإجابة عن الدراسات الاستشراقية في هذا الميدان، خاصة إذا استحضرننا بأن "المستشرقين عنوا بالتأريخ لهذه الفترة الغنية برجال الحديث والعلوم الشرعية عامة قبل غيرهم"⁽³⁾، وليس هذا حكماً خاصاً بالدراسات الاستشراقية في علوم الحديث بين القرنين السادس والثامن الهجريين، بل هو حكم عام؛ يمكن أن نخصه بتخصيصات الزمان والمكان، وموضوع المداخلة، والذي يتجلى في اهتمام مؤتمر المستشرقين الرابع عشر، الذي انعقد بالجزائر المحتلة سنة 1905م، وحضره حوالي 500 مشارك؛ أكثرهم من أوروبا، وقد نال صحيح مسلم فيه نصيباً من البحث والدراسة⁽⁴⁾.

(1): من الإسهامات والأعمال المشهودة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في هذا المجال؛ الملتقى الوطني: "مدرسة الإمام البخاري في الجزائر؛ التاريخ، الامتداد، الأفاق"، المنعقد بتاريخ: 23/22 أفريل 2024م، والملتقى الوطني: "عناية الجزائريين بموطأ الإمام مالك؛ التاريخ، الامتداد، الأفاق"، يومي: 07-08 ماي 2025.

(2): من الأعمال الجادة لكلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي؛ إقرار مشروع بحثي بفرع أصول الدين؛ والذي انتدبت له فرقة بحث من عديد القامات العلمية في علوم الحديث، وقد أشرف على رئاسة المشروع؛ أ.د/ خريف زتون، ومن أعضائه؛ الدكتور: بوجاجة بلقاسم، والدكتور: رمضان بشير، والدكتور لدفر لمين، وقد تم اعتماد هذا البحث ابتداء من تاريخ: 01/01/2023م، ولفترة تمتد إلى أربع (04) سنوات، وقد صدرت أولى ثماره قبل أيام، في تأليف جماعي، من تحرير وتقديم: أ.د/ إبراهيم رحمان، وأ.د/ خريف زتون؛ بعنوان: "جهود علماء الجزائر في الدرس الحديثي بداية من القرن التاسع عشر الميلادي؛ المجالات، المعالم، الخصائص"، بعد ندوة علمية عقدت بتاريخ: 03 جمادى الآخرة 1446هـ/ 04 ديسمبر 2024م، وقد تعزز هذا العمل ببحث آخر في الموضوع؛ بعنوان: "الحديث والمحدثون في الجزائر"، بقلم: أ.د/ مصطفى محمد حميداتو.

(3): د/ مسكين ضوء سالم، الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، (ج: 01، ص: 09).

(4): يُنظر: د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج: 06، ص: 61).

إن اعتناء المدرسة الاستشرافية في الجزائر خلال القرن 14هـ بالدراسة والتأريخ لإسهامات ومشاركات علماء الجزائر في علوم الحديث؛ بقدر ما تمثله من تحديات خطيرة، وتحمله من تأزيم معرفي بعيد المدى؛ بقدر ما أسهمت في وخز للضمير البحثي، وأزّجاً للتنقيب المعرفي في هذا المجال، حتى كثرت الدراسات في السنة النبوية، وتتابعَت التحقيقات الحديثية، ونشرت بحوث نافعة في بابها، ولكن الموضوعية تحتم علينا التذكير بأنه؛ وإن "كثرت العناية بالسنة اليوم تحقيقاً ونشراً، فإنها لا تزال محتاجة -في جملة ما تحتاج إليه- إلى تأريخ أطوارها في كل البلاد الإسلامية، وبيان ما استفاده كل طور من الأطوار التي سبقتة، وما أضيف فيه من فوائد وتجديدات في علوم الرواية والمصطلح والرجال، وليس بإمكان الأجيال اللاحقة أن تحقق قفزة نوعية في هذا المضمار ما لم تنته من إعداد مثل هذا العمل الضخم..."⁽¹⁾، وهذا العمل الضخم لا يمكن إنجازه وبلوغه؛ إلا باستكمال الأعمال القُطرية الجهدية، وتحقيق الالتقاء التكاملي بينها، ودفع تهمة قُومنة العلوم الإسلامية، وقراءتها ضمن سياقاتها الصحيحة.

لقد اعتنى علماء الجزائر في القرن 14هـ بتحمّل صحيح مسلم؛ رواية ودراسة، وقد ظهرت إشارات في هذا الجانب؛ سواء في أثناء الطلب والتلقي، أو في مراحل الاستزادة المعرفية، وتحصيل الكمالات العلمية، فأما شق الرواية؛ فقد اتصل علماء الجزائر في القرن 14هـ بأسانيد صحيح مسلم في إجازاتهم العامة والخاصة، والتي لم يكن صحيح مسلم يذكر فيها مفرداً دائماً، بل كان يرد أيضاً في سياق الإجازة بالصحيحين، أو ضمن الكتب الستة، وهذا المسلك ظاهر ومشتهر عند أهل الصنعة الحديثية، وذائع عند المشتغلين بهذا الفن؛ إجازة واستجازة، فتغنينا فيه الإشارة عن التحرير والتقدير⁽²⁾.

(1): د/ مسكين ضوء سالم، الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، (ج: 01، ص: 06).

(2): يُنظر: إجازة العلامة محمد حمدان الونيسي (ت: 1338هـ) للإمام عبد الحميد ابن باديس؛ د/ فيلاي عبد العزيز، عبد الحميد بن باديس؛ مرحلة التحصيل والتكوين، (عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2014م)، (ص: 140).
* إجازة الشيخ أحمد الفيض أبادي الهندي (ت: 1377هـ) للإمام عبد الحميد ابن باديس؛ د/ فيلاي عبد العزيز، المصدر نفسه، (ص: 143).

و يُنظر: د/ فيلاي عبد العزيز، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية، (عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2012م)، (ص: 111-116)، ود/ عمار طالي - عبد المالك حداد، ابن باديس من خلال الإجازات والوثائق وتقارير المخبرات الفرنسية، (المحمدية - الجزائر: شركة الأصاله للنشر، د/ط، 2017م)، (ص: 89-95)، وبن علجية لحسن، الدر النفيس في إجازات ومرويات الإمام عبد الحميد بن باديس، (بيروت - لبنان: دار ابن حزم، ط/01، 1435هـ-2014م)، (ص: 140/154).

* إجازة العلامة حمدان الونيسي للشيخ محمد العربي بن التّباني الواحد السطيفي الجزائري (ت: 1390هـ)، يُنظر: بن علجية لحسن، محمد حمدان بن أحمد الونيسي القسنطيني المدني؛ حياته وأثاره، (درارية - الجزائر: دار مساحات المعرفة، ط/خاصة، 2015م)، (ص: 74).

أما من جانب تحمّل صحيح الإمام مسلم فهما ودراية؛ فنمّثل له بملازمة العلامة محمد البشير الإبراهيمي صرّطاً في المسجد النبوي لدرس العلامة أحمد الفيض أبادي الهندي (ت: 1377هـ) في شرح صحيح مسلم، وقد وصف الإبراهيمي هذا الدرس بقوله: "وظفت بحلق العلم في الحرم النبوي مختبراً؛ فلم يرق لي شيء منها، وإنما غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء، ولم أجد علماً صحيحاً إلا عند رجلين هما شيخاي؛ الشيخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، فهما -

==*إجازة العلامة محمد العربي التبان السطيفي للشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنّيع (ت: 1389هـ)، عام: 1365هـ، يُنظر: الحجي أبو زكريا صالح بن سليمان، الثمر الينيع في إجازات الصنّيع، (الرياض - السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط/01، 1431هـ-2010م)، (ص: 174-176)، وإجازة العلامة محمد العربي التبان للشيخ محمد وعلي مداغ اليديري الماييني (ت: 1971م)، عام: 1385هـ، يُنظر: عبد الحليم بن خضير بوبكر، الفقيه الصوفي الشيخ محمد وعلي مداغ اليديري الماييني؛ حياته وأثاره، (برج بوعريج- الجزائر: دار أبجديات، د/ط، 2013م)، (ص: 168).

*إجازة العلامة حمدان الويسي للشيخ حسن المشاط المكي (ت: 1399هـ)، عام: 1337هـ، يُنظر: حسن المشاط المكي، الثبت الكبير، د-تح: د/ محمد بن عبد الكريم بن عبيد، (مكة المكرمة-السعودية: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د/ط، 1426هـ-2005م)، (ص: 114)، وبن علجية لحسن، محمد حمدان بن أحمد الويسي القسنطيني المدني؛ حياته وأثاره، (ص: 90)، وإجازته -حمدان الويسي- للشيخ الحبيب عبد الله بن محسن العطاس الحضرمي (ت: 1351هـ)، عام: 1328هـ، يُنظر: بن علجية لحسن، المصدر نفسه، (ص: 98-101)، وإجازته للشيخ بلقاسم بن الحاج أحمد الورزديني؛ المعروف بالشيخ بلقاسم بن طعيوج، عام: 1327هـ، ومما خطه العلامة حمدان الويسي في هذه الإجازة؛ قوله: "وإن لي سنداً عالياً في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم". بن علجية لحسن، المصدر نفسه، (ص: 105).

*إجازة الشيخ علي البوديلي التلمساني (ت: 1409هـ)، للشيخ محمد باي بلعالم (ت: 2009م)، عام: 1385هـ، يُنظر: بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، (الحراش- الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، د/ط، 2015م)، (ج: 02، ص: 462-465)، وإجازة الشيخ البوديلي للشيخ العيفة العياضي السطيفي (ت: 1986م)، عام: 1385هـ، يُنظر: ضيف مصطفى، إجازات حديثة جزائرية، (المسيلة- الجزائر: دار التوفيقية، ط/01، 1433هـ-2012م)، (ص: 148-151).

*إجازة العلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي للشيخ محمد بنعزوز القاسمي الحسني الهاملي (ت: 1404هـ)، عام: 1372هـ، يُنظر: إجازات العلامة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي الحسني، جمع وإعداد: أنس محمد القاسمي الحسني وعبد المنعم القاسمي الحسني، (المسيلة- الجزائر: دار التوفيقية، ط/01، 1433هـ-2012م)، (ص: 118-123)، والشيخ محمد بن عزوز القاسمي نفسه أجاز الشيخ الحاج خليل القاسمي الحسني، عام: 1388هـ، يُنظر: المصدر نفسه، (ص: 124-130).

ما أشرت إليه من حرص الجزائريين على الاتصال بأسانيد صحيح الإمام مسلم -إجازة واستجازة- في القرن 14هـ؛ وارد في سياق التمثيل لا الإحاطة والحصص، كما أن جميع الأمثلة المنتقاة هي الإجازات التي ورد فيها التصريح والتخصيص بإيراد صحيح مسلم؛ إما أفراداً ذكراً، أو ثنائية مع صحيح البخاري (الصحيحين)، أو جمعا مع الكتب الستة (الصحاح الستة/ الأصول الستة)، أما الإجازات العامة التي لا يتجلى فيها ذكر صحيح الإمام مسلم بإحدى الطرق الثلاثة أنفة الذكر والإشارة؛ فقد أغفلت ذكرها في هذا المقام، لما يلابسها من ملايسات الظن والاحتمال.

والحق يقال- عالمان محققان، واسعا الأفق والإدراك في علوم الحديث وفقه السنة، ولم أكن راغبا إلا في الاستزادة من علم الحديث؛ رواية ودراية... ولازمت الثاني في درسه لصحيح مسلم، وأشهد أني لم أر لهذين الشيخين نظيرا من علماء الإسلام إلى الآن، وقد علا سني واستحكمت التجربة... في فصاحة التعبير، ودقة الملاحظة، والغوص عن المعاني، واستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض، والتقريب للمعاني القصية⁽¹⁾، وفي هذا النص العزيز؛ يمكننا استنباط المعاني والإشارات الآتية:

- كانت رحلة العلامة الإبراهيمي إلى الحجاز بعد علو سنه، واستحكام الملكات والخبرات العلمية، فلم يكن غرضه البناء والتأسيس العلمي؛ وإنما رحل للاستزادة من علوم الحديث رواية ودراية.
 - طوافه بحلق العلم في الحرم النبوي، ونقده لمجالسه العلمية، واختباره لدروسه وشروحه؛ بما تمليه الموضوعية والحقيقة، وهو ما يؤكد النظرة النقدية لدى علماء الجزائر، وتمكن أقطابهم من أزمة الحديث النبوي وعلومه، وإعمالهم لآلات النظر والتجديد.
 - حكم العلامة الإبراهيمي على دروس الحرم النبوي آنذاك؛ بالغناء والبعد عن الإحياء، واستثنائه من هذا الحكم لعالمين؛ هما: الشيخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، وذلك لما عاينه في دروسهما؛ من تحقيقهما وسعة أفقهما في العلوم والمسائل، وتبجرهما في علوم الحديث، وفقه السنة النبوية.
 - أشار العلامة الإبراهيمي إلى جوانب النبوغ في الدرس الإسلامي عموما؛ وفي الدرس الحديثي على وجه التخصيص، وذلك باستجماع المدرس للفكر المستنير، وفصاحة الإلقاء والتعبير، ودقة الملاحظة وسدادها، أما المعاني؛ فقد استحضر فيها ثلاثية؛ الغوص لاستجلاء مكنوناتها، وتوضيح الغامض المشكل منها، وتقريب المعاني القصية العصبية على الفهم والإدراك.
- ومن مظاهر اعتناء علماء الجزائر في القرن 14هـ بصحيح مسلم، وتحمله دراية؛ دراسة الإمام عبد الحميد ابن باديس صرطاً لصحيح مسلم ضمن مقررات الجامع الأعظم بالزيتونة⁽²⁾، وقد كان من المقرر عليهم في شروح الحديث آنذاك: إكمال إكمال المعلم؛ للإمام أبي عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني الأبي (ت: 828هـ)، وهو تعليق على صحيح الإمام مسلم، وليس شرحا مفصلا⁽³⁾.

(1): الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (روبية - الجزائر: دار الوعي، ط/01، 1997م)، (ج: 05، ص: 275).

(2): يُنظر: د/ فيلاي عبد العزيز، عبد الحميد بن باديس؛ مرحلة التحصيل والتكوين، (ص: 160).

(3): قال العلامة الأبي التونسي صرطاً: "وبعد؛ فإن هذا تعليق أمليته على كتاب مسلم... وسميته بإكمال الإكمال، وأرجو أن

2-2/ المطلب الثاني: من جوانب خدمة الجزائريين لصحيح مسلم في القرن 14هـ.

خدم علماء الجزائر صحيح الإمام مسلم من شتى الجوانب والاعتبارات، وليس هذا الالتفات منهم إلى العناية به نابتة علمية، ولا بدعة من حادثات القرن 14هـ؛ بل هو استمرارية للجهود السابقة⁽¹⁾، ووصل المتأخرين لأسانيد المتقدمين، فقد "كانت الصحاح الستة موضوع عناية أجدادهم؛ ولا سيما الصحيحان البخاري ومسلم"⁽²⁾، وادعاء الاستمرارية والاتصال؛ لا يستلزم الاستواء والتماثل، فقد كانت هذه الجهود تتراوح بين النشاط والخمول، وبين الازدهار والانحطاط، حسب الظروف والأحوال المكانية والزمانية؛ المؤثرة في الواقع العلمي، ومن تلك الجهود التي يمكن الإشارة إليها في هذه الورقة البحثية المركزة؛ ما يأتي:

1/ الشيخ محمد العربي بن التّبّاني الواحدي السطيفي الجزائري مِرطَ (ت: 1390هـ): فقد نشأ في

الجزائر؛ ثم استزاد من أعلام القرن 14هـ في الزيتونة والحجاز، ليجلس -وقد اكتملت أدواته، وشهد له أهل الصنعة باستحقاق التصدر في تلك الرحاب الطاهرة- مدرسا بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ثم بأروقة الحرم المكي الشريف، وهناك ختم بالتدريس كثيرا من كتب الحديث النبوي؛ وغيرها، وأخذ عنه كثيرون من المستوطنين والوافدين والعمّار، ومما تصدّر لدرسه؛ صحيح الإمام مسلم، الذي ختمه عليه الطلاب شرحا وقراءة⁽³⁾.

2/ الشيخ محمد وعلي مداغ اليديري الماييني مِرطَ (ت: 1971م): وهو من أبناء دائرة الجعافرة، ببح

بوعريرج، أخذ عن شيوخ أهل بلده المتمكنين، ثم اتجه إلى الزيتونة التونسية، ليصل ركاب الطلب إلى مآرز الإيمان؛ إلى المدينة النبوية؛ حيث أخذ عن علمائها وأعلامها، وبسبب ظروف الحرب الكونية الأولى؛ اتجه إلى الشام، ثم إلى مكة المكرمة سنة 1917م، ليعيّن سنة 1919م مدرسا بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ليمتد درسه إلى الحرم المكي؛ حيث تصدّر لتدريس كثير من المؤلفات والمصنفات، في شتى العلوم والفنون،

المنصف لا ينكر أن الكتاب جاء عالي الكعب، سهل المآخذ، ولم يكن القصد بوضعه إلا وجه الله تعالى"، إكمال إكمال المعلم، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، د/ط/ت)، (ج: 01، ص: 47).

(1): يُنظر: د/ مسكين ضوء سالم، الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، (ج: 01، ص: 133)، ود/ عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، (روية - الجزائر: دار الوعي، ط/01، 1434هـ-2012م)، (ص: 235-239)، وأ/ زينة مومني: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح مسلم، (مجلة الإحياء، جامعة الحاج لخضر - باتنة/ الجزائر، العدد: 15، سنة: 1434هـ-2012م)، (ص: 346-369).

(2): د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج: 07، ص: 39).

(3): يُنظر: مجموعة من الأساتذة، إشراف: رايح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (بئر توتة - الجزائر: منشورات الحضارة، د/ط، 2016م)، (ج: 01، ص: 524).

ومنها؛ صحيح الإمام مسلم⁽¹⁾.

3/ الشيخ محمد باي بلعالم صرّط (ت: 2009م): كان للعلامة محمد باي بلعالم اعتناء مشهود بصحيح مسلم، فأحيا درسه الحافل في حاضرة من أعرق الحواضر العلمية للقطر الجزائري؛ حيث نشط في مساجد ومدارس إقليم توات العامر، فكان "يختم صحيح مسلم كل عامين"⁽²⁾، "وقد يمتد إلى ثلاث سنوات"⁽³⁾، وباعتبار هذه المدة؛ يحق لنا التساؤل: هل كان درس الشيخ محمد باي بلعالم في صحيح مسلم؛ درس رواية وسماع؟، أم درس دراية وتفهم وشرح؟، أم كان جامعا فيه بين الرواية والدراية معا؟، ولاستيضاح هذه القضية؛ نستعين بما أمكننا الوصول إليه من القرائن الكاشفة، والروايات الواصفة، حتى نصل إلى حكم صحيح؛ أو مقارب للصحة.

مما ورد في وصف درس صحيح الإمام مسلم؛ ما كتبه الشيخ محمد باي بلعالم نفسه، ومنه نستنتج بأن الشيخ لم يكن له درس واحد وحيد في صحيح مسلم، وذلك باعتبار أنه كان يدرس في أماكن مختلفة من زوايا إقليم توات ومدارس مساجدها، كمدرسة مسجد الإمام أنس بن مالك، بزواوية حينون، ومدرسة مصعب بن عمير، بزواوية أولف، إضافة إلى اختلاف مُدد تدريسه وختمه، فقد سبق ذكر مدة ختم تراوح بين العامين وثلاث وسنوات، كما ورد بأنه كان يقرؤه كل سنة⁽⁴⁾، حيث كانت له مجالس في قراءة صحيح مسلم؛ قراءة رواية وسرد، خصصه لطلبة العلم من المتفرغين، فكان "في كل يوم يسرد صفحات من الموطأ ومن صحيح مسلم"⁽⁵⁾، وقد سجّل الإمام أسماء الطلبة المنتدبين للقراءة والسرد، حيث قال: "وأما صحيح مسلم فيتولاه بعض الطلبة بالمداولة منهم؛ الطالب محمد قدي، والطالب محمد علي بختي، والطالب عبد الله حامد لمين"⁽⁶⁾.

كما كان له مجالس في درس صحيح مسلم؛ درس دراية وفهم، لا يكتفي فيه بالقراءة والسرد، بل يشفعه بالشرح والتعليق على مروياته، وقد كانت هذه الدروس في مدرسة مسجد الإمام أنس بن مالك،

(1): يُنظر: عبد الحليم بن خضير بوبكر، الفقيه الصوفي الشيخ محمد وعلي مداغ الديرري المايبي؛ حياته وأثاره، (ص: 35).
(2): بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، (ج: 02، ص: 367)، ويُنظر: أ/ زينة مومني: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح مسلم، (ص: 354)، ود/ عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، (ص: 239).

(3): المصدر نفسه، (ج: 02، ص: 372).

(4): المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 345).

(5): المصدر نفسه، (ج: 02، ص: 372).

(6): المصدر نفسه.

"وخصص للدروس فيها الوقت المناسب للعمال والفلاحين، وذلك من صلاة العصر إلى الغروب"⁽¹⁾، ولا شك أن قرينة الزمن السنوي واليومي المستغرق في ختمه، ومستوى المخاطبين والمتلقين؛ من العمال والفلاحين؛ كافية في الدلالة على أن درسه كان درس دراية وتفهم، ولا أقل فيه من التعليق والشرح المختصر، وإن لم يصل مواصل الشرح المفصل المطول، ذلك أن العمال والفلاحين إنما يستفيدون من أحكام الدرس وحكمه، ويسترشدون بهدايات الأحاديث وتوجيهاتها، ولا يحصل لهم مثل ذلك ولا قريباً منه؛ من مجرد القراءة والسرد؛ دون دراية وفهم، وهذا التوجيه ليس اجتهادياً أو ظنياً؛ بل هو ما صرح به العلامة بلعالم في النص المنقول آنفاً؛ في قصده من درسه إفادة العمال والفلاحين من عامة الناس، وقد استعمل في ذلك مصطلحي؛ التخصص والمناسبة، فأما التخصص؛ فلما فخصهم به من وقتٍ خارج دوامهم وانشغالهم، وأما المناسبة؛ فلما اختاره لهم من منهج في الشرح يناسب استعداداتهم الذهنية، ويوافق مستوياتهم العلمية، كما يحتمل أن يكون الدرس واحداً ينهل منه الجميع بُغيته، وما ذلك على مثل العلامة محمد باي بلعالم بمُستصعب.

لم يُحدث العلامة بلعالم مصدراً حديثياً جديداً في المرجعية العامة للدرس الحديثي في إقليم توات؛ بل سار على منهج الموافقة للاتجاه العلمي العام في الاختيارات المصدرية للحاضرة العلمية التي كان ينشط في رحابها، كونه أدمى للقبول، وأفضل في موافقة المرجعية المعرفية المستقرة آنذاك، ونأياً بجهوده عن استنزافات المخالفة والصدام، فأهم المقررات الحديثية في إقليم توات؛ "الجامع الصحيح للإمام البخاري، موطأ الإمام مالك بن أنس، صحيح مسلم... أما صحيح مسلم فليس عاماً في كل المدارس العلمية"⁽²⁾، وهو ما يدل على أن العناية بصحيح مسلم في إقليم توات؛ لم يبلغ نظيره في صحيح البخاري، وموطأ مالك. مما يجب الإشارة إليه في هذا السياق؛ أن تدريس الحديث النبوي عموماً، وصحيح الإمام مسلم على وجه التخصص والتفريع؛ كانت تحقّه في إقليم توات -كما في غيره من الحواضر- عناية خاصة، ذلك "أن هذه الكتب الحديثية لا يتصدى لقراءتها إلا من له كفاءة تؤهله لتدريس الحديث، وشرح معانيه للطلبة والمستمعين، ويكون ذلك بإجازة تتضمن الإذن للمعني بقراءة الحديث من مجاز عالم، أو حضور شيخ ماهر قد مارس العلوم الشرعية لقراءة الحديث، حتى يتدرب الطالب على القراءة ويتمكن من معرفة المصطلحات والرموز؛ التي يشير إليها المصنف في كتابه، ونظراً لكون قراءة الحديث يشترط فيها الإجازة. كان أسلافنا علماء توات متمسكين بذلك؛ لا يقرأون الحديث إلا بشروطه، ولا يأذنون في قراءته إلا

(1): المصدر نفسه، (ج: 02، ص: 371).

(2): المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 299).

لمن يتمتع بالكفاءة التامة"⁽¹⁾، وفي هذا النص العزيز إشارات معرفية سامية؛ نستلّ بعضها:

- اعتناء علماء توات -كغيرهم من حواضر العلم في الجزائر- بالدرس الحديثي، واختيارهم لأهم المصنفات لتقريرها على الطلاب والعامّة؛ في المساجد والزوايا، كصحيح البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك.

- الحرص على انتداب أصحاب التحصيل العلمي المؤهّل، والمُكنة الحديثية الكافية، ذلك أن نجاح الدرس الحديثي قائم على توفر ثنائية؛ جودة انتقاء المقررات، والكفاءة التامة في المدرّسين، ولا يخفى ما في هذا المسعى؛ من صيانة لهذا الميدان الشريف من آفات العلوم، وتصدّر فاقد الأهلوية؛ ممن يفسدون أكثر مما يصلحون.

- اشتراط الإجازة في المتصدّر لتدريس هذه الكتب الحديثية الراقية، وتوفر الشروط العلمية المعتبرة، وانتفاء الموانع القادحة في أهليته، مع حصول الإذن والتزكية من شيوخه ومجيزيه، أو مرافقة أهل الخبرة العلمية؛ الممارسين للعلوم الشرعية.

- حرص العلامة محمد باي بلعالم على تعظيم حديث رسول الله 9، والاحتفاء بكتبه ومصادره الصحيحة الموثوقة، فزيادة على ما سبق قريبا؛ من اشتراط الأهلوية والكفاءة التامة في المتصدّرين لدرسه الحديثي، وإضافة على ما سبق أنفا؛ من الحرص على شرف المكان - بممارسته في المساجد والزوايا والمدارس الشرعية-؛ فقد اهتم بتخصيصه بأشرف الأزمان والأوقات، حيث كان في "في شهر رمضان تخصص الدروس لكتب الحديث والقرآن فقط، وفي هذه السنوات الأخيرة اقتصر الحلقة على دروس الحديث والقرآن؛ الموطأ وصحيح مسلم"⁽²⁾، وهو استثمار حكيم في استعدادات الناس وإقبالهم على العلم الشرعي في شهر رمضان، واستغلاله في تطعيم الناس بهدايات القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

لم تقتصر جهود العلامة محمد باي بلعالم في خدمة صحيح مسلم في القرن 14هـ؛ على تدريس الجامع الصحيح للإمام مسلم، بل تجلّت كذلك في شرحه للأحاديث المتفق عليها بين الإمامين البخاري ومسلم، وذلك من كتاب: (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم)؛ للعلامة؛ محمد حبيب الله بماياي الجكني اليوسفي المالكي الشنقيطي (ت: 1362هـ)، وقد قال الشيخ بلعالم نفسه في ذلك: "كما أننا في كل يوم نشرح حديثا أو حديثين من زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، يتولى سرد الحديث... الطالب

(1): المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 300).

(2): المصدر نفسه، (ج: 02، ص: 372).

عبد الرحمن الثابت⁽¹⁾، ونلاحظ في هذا النص بأن الإمام محمد بالعالم قد جمع بين مصطلحي الشرح والسرد، مع اتحاد المكان والزمان، واتفاق المجلس والكتاب؛ وهو ما يؤكد بأن استعمال مصطلح السرد عند الشيخ لا يستلزم كون الدرس سماعيا مجردا عن الشرح أو التعليق، بل؛ يصير استعمال السرد هنا بمعنى القراءة، ثم تُشفع المرويّات والمتون الحديثية بما يناسبها ويناسب المقام من التعليق والشرح. في نهاية هذا المطلب؛ نضطر اضطرارا علميا إلى تسجيل خلاصة واستنتاجات مركزة -مما لم تسبق الإشارة إليه-؛ أهمها ما يأتي:

- الدرس الحديثي لصحيح الإمام مسلم عند العلماء الجزائريين خلال القرن 14هـ؛ كان أكثره وأغلبه درسا سماعيا شفهيًا، ولم يكن كتابيا تأليفيا، والأمثلة الثلاثة السابقة كلها كانت في هذا النوع؛ سواء عند العلامة محمد العربي بن التّبّاني السطيفي، والشيخ محمد وعلي مداغ المايّني، والشيخ محمد باي بلعالم.

- عناية علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم في القرن 14هـ؛ لم تكن خاصة ومنحصرة في القطر الجزائري وحواضره العلمية فقط، بل تناءت امتداداته، وتوسعت آفاقه؛ لتشمل كبرى حواضر العالم الإسلامي، وهو ما رأيناه مع الإمامين؛ محمد العربي التّبّاني، ومحمد وعلي المايّني، حيث جلسا لتدريس صحيح مسلم في أروقة الحرم المكي الشريف؛ فاتصلوا بالأسانيد العلمية لغيرهم، كما وصلوا لغيرهم بأسانيدهم الحديثية المعتبرة.

- تدريس العلامة أحمد باي بلعالم لصحيح مسلم في القطر الجزائري؛ لا يعني انحصار الاستفادة منه في أبناء حاضرة توات، بل هو شامل لغيرهم من الطلبة الأجانب، ذلك أن الأخذ عنه قد شمل الطلاب الجزائريين، وغيرهم من الطلاب الوافدين؛ خاصة من دول الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى.

- خدمة علماء الجزائر لصحيح مسلم في القرن 14هـ؛ تجلت في صورتين هما:

1/ صورة الأفراد: وهي التي ظهرت في عنايتهم بالصحيح الجامع للإمام مسلم مفردا مستقلا؛ رواية ودراية، تحملا وأداء.

2/ صورة الجمع: وهي التي ظهرت في العناية به ضمن الاحتفاء بالصحيحين، أو مع غيره من الكتب الستة؛ الذي هو ثانيها باتفاق، ومن الجوانب الزائدة في هذا السياق مما لم يسبق ذكره في هذه المداخلة؛ تأليف علماء الجزائر في مناقب الصحيحين، ومنهم: الشيخ محمد البخاري بن الصادق

(1): المصدر نفسه.

العقي القالمي مِرْط (ت: 1334هـ)، صاحب رسالة: (مواهب الباري في مناقب مسلم والبخاري)⁽¹⁾.

3/ المبحث الثاني: من جهود علماء الجزائر في توظيف صحيح الإمام مسلم.

تجلت للباحث عناية علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم متأكدة من عدة جهات، وظاهرة في شتى الاعتبارات، وقد ظهرت معالمه في القرن 14هـ؛ رواية ودراية، وفي هذا المبحث؛ سنسعى للكشف عن جانب التوظيف المعرفي لصحيح الإمام مسلم في الدرس الإسلامي الجزائري، والذي قامت دواعيه على أسباب وظروف علمية داعية إليه، ومؤكدة عليه.

3-1/ المطلب الأول: من أسباب اعتناء علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن 14هـ.

إن التفات علماء الجزائر في القرن 14هـ إلى العناية بصحيح الإمام مسلم؛ كانت تمليه أسباب علمية حقيقية، وسياقات معرفية خاصة، وفي هذا المطلب سنقتصر على الأسباب الخاصة دون العامة منها؛ كون هذه الأخيرة قد وردت ملامحها في المبحث الأول من جهة، ولكونها عامة من جهة ثانية؛ يشترك فيها علماء الجزائر مع غيرهم من علماء الحواضر الإسلامية الأخرى، وقصد هذه الورقة البحثية وإشكالياتها؛ تأبى علينا التوسع والتفصيل في حيثياتها، مع التزامات الاختصار والتركيز، ومن أهم ما يمكن إيرادها في هذا السياق؛ ما يأتي:

1/ النزعة الاستدلالية: كانت هذه النزعة من أهم أمارات النهضة العلمية الإسلامية في الجزائر خلال القرن 14هـ، والتي أسهمت فيها جميع المدارس الفكرية المشاركة في الساحة؛ من الإصلاحيين، والطرقين، والإباضيين، ووصف المشاركة لا يستلزم المماثلة، ذلك أن تفاوت هذه المدارس كان جليا في توظيف النزعة الاستدلالية القائمة على الكتاب والسنة، قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي: "فالغرة اللامعة في جبين هذه النهضة العلمية؛ هي اقتران العلم بدليله، فأصبح علماؤنا يعملون بالدليل، ويدعون على الدليل، ويطالبون بالدليل، ويحكمون الدليل ولو في أنفسهم..."

ومن غرائب تأثير الحق في نفوس المستعدين له؛ أن هذه النزعة الاستدلالية قد تجاوزت آفاق الطلبة المزاولين للعلم إلى الطبقات التي تليهم... فقد كان من ثمرات هذه النزعة الجديدة فيهم أنهم صاروا عارفين بقيمة الدليل، ولا يقبلون الباطل حين يلقي إليهم بالسهولة التي كانوا يقبلونه بها...⁽²⁾، وفي هذا النص العزيز استنباطات كثيرة؛ نذكر منها:

- اقتران العلوم بأدلتها، ووصل الفروع بأصولها؛ علامة من أقوى علامات استحكام النهضة العلمية

(1): يُنظر: مجموعة من الأستاذة، إشراف: رايح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (ج: 02، ص: 316).

(2): الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (ج: 01، ص: 148).

الصحيحة، وهذه الأخيرة قد كان للقطر الجزائري نصيب وافر منها في القرن 14هـ، والذي كادت أن تندرس أسانيدته العلمية وتندثر في الخطب والدروس والتأليف.

- عموم النزعة الاستدلالية؛ ويشمل العموم هنا ثلاثية الدرس الحديثي من: المدرّسين والدّارسين، ومادة الدّرس ومقرراته، حتى عمّت العلماء والعوام على حدّ سواء، وبذلك نفذ الإصلاح إلى مجالس العلم، "وأصبحت سنة رسول الله 9 تدرس من أصولها الصحيحة"⁽¹⁾.

- دور النزعة الاستدلالية في محاربة مسالك الجمود والتقليد المذمومين، وإصلاح نزعة التسليم المجرّدة عن لوازمها وأسبابها الشرعية الصحيحة، "وإن هذا لهو المنفذ الواسع الذي دخلت علينا منه الخرافات والأحاديث الموضوعية، والمبالغات السخيفة، والآراء المضطربة، وكبائر الغلو وموبقاته"⁽²⁾، وباحترازاات الصحة والقبول للمرويات؛ تميز الصحيح المقبول من الضعيف المرذود.

- تنبيه العلامة الإبراهيمي إلى أن وصف الجِدَّة في النزعة الاستدلالية؛ ليس المقصود به: جِدَّة الاختراع والإحداث والإنشاء، وإنما هي جِدَّة البعث والإحياء، فهو تجديد تعود به الأمة عود خير وإصلاح إلى أمرها الأول.

- النزعة الاستدلالية؛ القائمة على كتاب الله تعالى، وما صح من سنة النبي 9؛ ليست مطية للتمرد على القواعد الشرعية المرعية، ولا وسيلةً للحط من الاجتهادات العلمية المعتمدة، ولا منفذ فيها لمعاكسة الواقع العلمي العام؛ بل هي -النزعة الاستدلالية- تقويم معرفي، وتصحيح للانحراف والاعوجاج في الاستدلال الشرعي على المسائل⁽³⁾.

2/ انتعاش الرّواية: من أسباب عناية علماء الجزائر بصحيح مسلم في القرن 14هـ؛ ازدهار الدرس الإسلامي، وانتعاش الرواية الحديثية؛ على أصولها المعتمدة في التحمّل والأداء، وهو الواقع الذي استبشر به أعلام القطر الجزائري وأقطابه، وقد وقع الوصف والإخبار به؛ ممن سلمت تقاريراتهم عن مسالك المبالغة والمجازفة في الوصف، قال العلامة الإبراهيمي: "وإن الأحاديث الصحيحة بدأت تتداول على الألسنة، وتتناول في المجالس، وترصع أحاديث الناس في مواطن الاستدلال، وإن رواية الحديث بدأت تنتعش"⁽⁴⁾.

(1): المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 147).

(2): المصدر نفسه.

(3): يُنظر: المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 148).

(4): المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 193).

في هذا النص نجد الشيخ البشير؛ يحكم بالانتعاش على رواية الحديث النبوي في الجزائر خلال القرن 14هـ، ورغم ما فيه من تبشير محمود؛ إلا أن العلامة الإبراهيمي لم يحد عن التزام الموضوعية في الوصف، مجانبا للتضخيم والمجازة في الحكم، وذلك لتقييده انتعاش رواية الحديث في الجزائر آنذاك بوصف (البداية)، ما ينبّه العاملين المشتغلين في هذا الفرع الشريف إلى أن هذا المشروع المبارك مازال في بداياته وبواكيره، وهو ما يدعوهم إلى ملازمة خط العمل، والاجتهاد في البلوغ به مبالغ النضج العلمي والاستواء المعرفي المطلوب، ومن أهم مظاهره وأقواها؛ أن تُتداول الأحاديث الصحيحة على الألسن، ويتجلى رجوعها في المحافل والمجامع العلمية.

كما أن الانتعاش الحديثي المنشود في الرواية؛ هو الذي جمع ضوابط الصحة والاعتبار، وكانت فيه الرواية مطية ووسيلة إلى الدراية، خاصة إذا استحضرننا في هذا السياق؛ بأن الشيخ البشير الإبراهيمي لم يكن ممن يحتفون بالرواية المجردة عن الدراية، فضلا عن الرواية الحديثية فاقدة التوثيق والصحة، وهي التي كَرَّ عليها العلامة الإبراهيمي وحارها، ونعتها ب: (جنون الرواية)⁽¹⁾، وباستحضار هذه الثنائية في الرواية الحديثية عند العلامة الإبراهيمي؛ يمكن توظيف وَصْفَي الانتعاش والجنون، وإيراد كليّ منهما في السياقات العلمية الصحيحة، بعيدا عن التعميمات الحكمية الخاطئة.

3/ إصلاح الكتب: مما أسهم في التفات علماء الجزائر إلى الاعتناء بصحيح مسلم في القرن 14هـ؛ الدعوة التي قامت إلى التأكيد على وجوب اختيار المقررات الحديثية الصحيحة، وانتقاء المصادر النافعة المجدية، قال العلامة البشير الإبراهيمي: "...وأما إصلاح الكتب؛ فإن عمدة الجمعية في التذكير؛ على كتاب الله، وحديث نبيه عليه الصلاة والسلام، ومدرسوها ما منهم إلا من له في العلم مقام معلوم، وهم يلتزمون في تذكيرهم الأحاديث التي صحت أسانيدھا ومتونها، ودواوين الحديث الصحيحة المعتمدة موجودة متوافرة... وكتب الحديث الصحيحة راجت بين الناس، وعمرت الخزائن، واكتسحت تلك الكتب التي ضللت الناس"⁽²⁾، ومما أشار إليه في هذا النص:

- ضرورة إصلاح الكتب؛ وهذه الضرورة متأكدة من جانب كونها هي المراجع والمصادر والمقررات؛
- لمختلف فروع العلوم الإسلامية، فإصلاحها وحسن انتقائها؛ يعود على الدرس الحديثي - خصوصا- بالإصلاح والتقويم المطلوبين.
- الإصلاح الحديثي للكتب والمصنفات؛ يشمل ناحيتين أساسيتين، وجانبين مهمين؛ يُعنى أولهما

(1): يُنظر: المصدر نفسه، (ج: 03، ص: 545).

(2): المصدر نفسه، (ج: 01، ص: 193).

باعتماد دواوين الحديث التي التزم مصنفوها شروط الصحة والتوثيق؛ كالصحيحين والموطأ، أما الجانب الثاني؛ فيظهر في نقد المرويات سندا ومتنا، وتحري الصحة فيها.

- رواج كتب الحديث الصحيحة بين الناس، "وهذه الكتب الصحاح؛ التي عُرف رجالها، ومحصت أخبارها..."⁽¹⁾، فلا بد من العمل على انتشار مثلها بين المدرّسين والدارسين، ولا يخفى دور هذا الأخير في اكتساح كتب الضعيف والموضوعات.

في هذا المقام؛ لابد من الانتقال من العموم إلى الخصوص، ذلك أن صحيح الإمام مسلم من أولى الكتب التي يجب تقريرها في الدرس الحديثي، ومن أهم المصنفات التي تحرّرت الصحة الحديثية بعد صحيح البخاري، وقد ذكره الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا السياق المهم؛ وذلك في قوله: "...فوطنوا أنفسكم على ذلك من الآن، ورؤّضوها على اختيار النافع المفيد من الكتب، ومن العار الفاضح أن لا نرى في الكثير من أبنائنا الذين تخرجوا من الزيتونة... ولا في من اتجهوا إلى علوم الدين؛ من استوعب قراءة الصحيحين والسنن... ولا سلاح الفقيه إلا تلك الكتب وأشباهها"⁽²⁾، فالشيخ البشير الإبراهيمي في هذا النص؛ يعتبر أنه من العار العلمي الفاضح أن يهمل المشتغل بالعلوم الشرعية والحديثية؛ قراءة الصحيحين والسنن، والمراد هنا؛ هي القراءة النقدية الفاحصة، بدليل اعتباره لهذا السبيل؛ هو سلاح الفقيه وزاده، ولا يكون الفقيه فقيها؛ حتى يفهم ويفقه ما قرأه، ويدري ما رواه.

4/ التّعليم المقاوم: الدرس الحديثي -بما فيه درس صحيح الإمام مسلم- في الجزائر خلال القرن 14هـ؛ لم يكن درسا لتحصيل الكمالات المعرفية، ولا خوضا في الترف العلمي، بل؛ كانت جميع مراحلها وتفصيله منخرطة في (التعليم المقاوم)⁽³⁾؛ الذي كانت تخوضه الأمة الجزائرية ضد عاديّات الداخل والخارج، فأما الداخلية؛ فقد تمثلت في تطهير التراث الإسلامي من أسباب ضعفه وانحطاطه، وتنقية علومه من الضعيف والموضوع، والعودة بالأمة إلى أمرها الأول المحمود.

أما الآفات الخارجية التي سعى الدرس الإسلامي الجزائري لمقاومتها؛ فقد تمثلت في الاحتلال الصليبي،

(1): التبسي العربي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين؛ الشيخ العربي التبسي، جمع وإعداد: د/ أحمد رفاعي الشرفي، (عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2011م). (ج: 03، ص: 359).

(2): الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (ج: 03، ص: 203)، وقال مؤكّدا في موضع آخر: "إن المظهر البارز للثقافة الإسلامية هو كتبنا وعلومنا، ومناهج الدراسة عندنا، وأساليب البحث وطرائق التربية، ومن الكذب على الله وعلى الحق: أن نزعّم أن الكتب التي ندرسها والمناهج التي نسلّكها؛ تحقق المعنى العالي للثقافة الإسلامية"، المصدر نفسه، (ج: 02، ص: 309).

(3): يُنظر: د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج: 03، ص: 206).

والغزو الفرنسي الجاثم على الجزائر؛ مادة ومعنى، مع ما حملته من تحامل التنصير والاستشراق، وما عمل عليه من سياسات تجهيلية قاسية، ومساعٍ حثيثة لطمس الهوية الإسلامية العربية للأمة الجزائرية.

2-3/ المطلب الثاني: مصدريّة صحيح الإمام مسلم في الدرس الإسلامي عند علماء الجزائر.

تجلت عناية علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم خلال القرن 14هـ في عدة جوانب، منها؛ جانب التوظيف الحديثي للمرويات في شتى فروع الدرس الإسلامي، ومكانة روايات صحيح الإمام مسلم في الكتابات الشرعية لعلماء الجزائر، وهناك تجلت مصدريته المعرفية، وظهر كأهم مورد من موارد الحديث النبوي، بالإضافة إلى نقاشات وتنبهات إلى سبر مروياته ونقدتها، وسنسى في هذا المطلب للإشارة إلى أهم حيثيات وصور هذا الفرع المهم.

1/ مصدريّة صحيح الإمام مسلم في الدرس الحديثي الجزائري خلال القرن 14هـ: لم يخالف علماء الجزائر العرف العلمي العام المتقرر لدى علماء المسلمين؛ في فضل صحيح الإمام مسلم، ومنزلته بين باقي المصنفات الحديثية، ولهذا اعتنوا به رواية ودراية، ورأوا فيه الغنية والكفاية؛ مع غيره من أصول دواوين السنة النبوية الصحيحة، فهذا الإمام أبو يعلى الزواوي صرّط يقول: "...وقاعدته التي ذكرنا مما عليه محمد⁹ وأصحابه، وكذلك خير القرون الثلاثة، بشرط أن ندرس سير تلك القرون، وكفانا لذلك الصحيحان؛ البخاري ومسلم، ونزید الموطأ، وسائر كتب الأئمة الذين عاشوا في خير القرون"⁽¹⁾، وبذلك يمكن الوصول إلى الأحكام الصحيحة، وأخذ الحديث من مصادره الأثرية العتيقة.

لا يقف الاعتناء بصحيح الإمام مسلم عند متنه وأصله؛ بل لابد من انتقاء شروحه المعتمدة، والأخذ من تلك التي عُرف عن مصنفها العلم والتحقيق، واشتهر عنهم الاعتناء بمسائله ودقائقه، وقد أثنى العلامة أبو يعلى الزواوي على شرح بلديّه؛ أبي الروح عيسى بن مسعود الزواوي الجزائري (ت: 743هـ)، والذي سماه بـ: (إكمال إكمال المعلم في شرح صحيح الإمام مسلم)، وقد قال الإمام أبو يعلى الزواوي عنه: "...وسمع كتب الحديث الستة (قديمًا)، وحدث عن شرف الدين الدميّاطي... وأقبل على الاشتغال والتصنيف، فشرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلداً، وسماه: (إكمال الإكمال)"⁽²⁾.

لا يخفى ما في هذا الاحتفاء والتذكير بعلماء الجزائر، ومشاركاتهم في الدرس الحديثي العالي؛ من شحذ لهمم، وتذكير للأمة بشخصيتها الإسلامية، خاصة وأن القطر الجزائري في القرن 14هـ كان يعاني من

(1): الزواوي أبو يعلى، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، محمد الأمين فضيل، (درارية - الجزائر: دار زمורה، ط/خاصة، 2013م)، (ج: 01، ص: 443).

(2): المصدر نفسه، تاريخ ازواوة، (ج: 04، ص: 82).

حملة صليبية فرنسية قاسية، وما سبق ورد تمثيلاً؛ وإلا فإن أكثر شرح اعتنى به علماء الجزائر؛ هو شرح (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)⁽¹⁾.

حرص علماء الجزائر في القرن 14هـ على الاعتناء بصحيح الإمام مسلم في الدراسات الحديثية المعمقة، واقتراح تقريره في الدراسات الإسلامية الشرعية العليا، ومنهم العلامة أحمد حماني، فقد اقترحه ضمن المقررات التكوينية لأئمة وموظفي المساجد، وذلك بأن تكون الدراسة "في العالمية؛ دراسة دقيقة تستمر ثلاث سنوات أخرى بعد التحصيل، وفيها تفسير القرآن الكريم من كتاب القاضي البيضاوي... وشرح الحديث (صحيح مسلم)"⁽²⁾، فهنا؛ نجد العلامة حمد حماني يقترح تقرير شرح صحيح الإمام مسلم في مستوى العالمية، مع توصيته بتحري الدقة والعمق في الدراسة والتدريس.

2/ مصدرية صحيح الإمام مسلم في الدرس العقدي الجزائري خلال القرن 14هـ: تجلت عناية علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم في القرن 14هـ؛ في أهم وأدق فرع من فروع الدرس الإسلامي؛ وهو: الدرس العقدي، وذلك لما يختص به هذا الأخير من خصائص الدقة، ويحوطه من لوازم الاحتياط والحذر، وقد تجلى في هذا الجانب اتجاهٌ إلى تقديم روايات صحيح الإمام مسلم على مرويات صحيح الإمام البخاري، وليس المراد هنا؛ تقديم صحة وإطلاق، وإنما هو تقديم صناعة ومناسبة، مع موافقة علماء الجزائر للاختيار العلمي المستقر عند أعلام المسلمين؛ في تقديم صحيح الإمام البخاري على صحيح الإمام مسلم؛ باعتبار شروط الصحة والاحتياط في الرواية.

من أمثلة تقديم علماء الجزائر لأحاديث صحيح مسلم على صحيح البخاري؛ في الدرس العقدي الإيماني؛ صنيع الإمام عبد الحميد ابن باديس في إملائه العقدي⁽³⁾، حيث نجده استدلل في هذا الإملاء بخمسة وثلاثين حديثاً نبوياً (35)، وقد وردت مصنفة كالآتي:

- (13) حديثاً؛ متفقاً عليه في صحيحي البخاري ومسلم.

- (03) أحاديث؛ من رواية الإمام البخاري.

- (16) حديثاً؛ من رواية الإمام مسلم.

- (03) أحاديث؛ صحيحة في غير الصحيحين.

في مسلك الإمام ابن باديس في إملائه العقدي؛ نجد تقديم روايات صحيح الإمام مسلم ظاهرة جلية،

(1): المصدر نفسه، (ج: 03، ص: 152).

(2): حماني أحمد، محاضرات ومقالات الشيخ العلامة أحمد حماني، (ج: 05، ص: 158).

(3): يُنظر: ابن باديس عبد الحميد، إملاء العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تعليق وتحقيق: محمد الحسن فضلاء، (قسنطينة- الجزائر: دار البعث، ط/01، 1406هـ-1985م).

حيث تجاوز ما أورده الإمام ابن باديس من أحاديث صحيح الإمام مسلم-(16)- أكثر من خمسة أضعاف ما أورده من أحاديث صحيح الإمام البخاري-(03)-.

وفي هذا السياق المهم؛ نجد كذلك موقف العلامة أبي يعلى الزواوي؛ من تقديم روايات صحيح الإمام مسلم على صحيح الإمام البخاري، فقد تقدم إليه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (ت: 2018م) بطلب تقرير كتاب: (الضروريات الفقهية للمدراس الابتدائية)، المطبوع بتونس سنة: 1371هـ، ومما أجابه به العلامة الزواوي؛ قوله: "أطلعني على هذه الدروس مؤلفها وجامعها الشاب الأديب الكاتب السيد: أبو بكر؛ عملاً بطريقة المتقدمين من عرض مؤلفاتهم على من يحسنون الظن به، للتقريب، أو لما عسى أن يقولوا ويلاحظوا، وكذلك فعل هذا الأخ، وعليه فإني أكتب كلمتي هذه فأقول:

قد اطلعت على هذه الدروس فرأيتها تفيد المبتدئين كما هو قصد المحرر السيد؛ أبي بكر، إلا أنني أنبه إلى ما حرر في العقائد؛ هو وكثير من المعاصرين، أنهم لو اكتفوا بما في الحديثين الصحيحين للإمامين؛ البخاري ومسلم، وعلى الأخص رواية مسلم؛ فإنها جامعة مانعة واضحة سهلة، حتى لقد وددت وتمنيت أن تكتب وترسم على أبواب المسلمين، وعلى منازلهم وعلى حيطان بيوتهم، إن لم يحفظوها في قلوبهم، ويتلوها بألسنتهم، ويعتقدونها بأفئدتهم..."⁽¹⁾، وفي هذه التوجيهات والتنبيهات الزاوية تقريرات وإشارات مهمة؛ نستل بعضها:

- حرص العلامة أبي يعلى الزواوي على الدعوة إلى تحري الصحة في الكتابات الشرعية، وانتقاء المرويات الحديثية التي يجوز الاستدلال بها؛ في الدرس الإسلامي عموماً، وفي الدرس العقدي على وجه التأكيد والتخصيص.
- توجيه الشيخ أبي يعلى الزواوي للكتابات المعاصرة في الدرس العقدي، ودعوته لمحريه إلى الاكتفاء بأحاديث ومرويات الصحيحين؛ البخاري ومسلم، وهو التوجيه الكفيل برأب الصدع، وكف شرور الخلاف والتفرق بين المسلمين.
- التقديم والاحتفاء الظاهرين للشيخ أبي يعلى الزواوي بروايات صحيح الإمام مسلم في الكتابات العقدية على غيره، بما في ذلك روايات صحيح الإمام البخاري، وقد علل الشيخ هذا التقديم بعدة أسباب وتعليقات علمية، جمعها في كونها: (جامعة، مانعة، واضحة، سهلة)، وفي هذه الرباعية التفضيلية؛ لا نجد إشارة إلى تقديم صحة، ولا تفضيلاً مطلقاً لصحيح مسلم على صحيح البخاري، بل؛ هو مقيد بالتقييدات والاعتبارات التأليفية الصناعية، والتي تجلت في

(1): الزواوي أبو يعلى، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، (ج: 03، ص: 531).

أولاًها: (جامعة)، لكون روايات الإمام مسلم قد انتظمت في سياق ترتيبي حسن، وجمعت في موضع واحد ولم تُقطع، وهو ما يجعلها واضحة الظهور، سهلة الأخذ والدراسة.

3/ مصدرية صحيح الإمام مسلم في الدرس الفقهي والوعظي الجزائري خلال القرن 14هـ: تجلى

حضور صحيح الإمام مسلم في شتى فروع الدرس الإسلامي العام، وهو ما يندرج ضمن مسارات الاستدلال على الاختيارات والتقارير، ومشروع بناء "الفقه الصحيح المنقّى؛ سيّد العلوم"⁽¹⁾، وإقامته على ساق الاعتبار بالدليل، والنأي به عن مسالك الجمود والتقليد، وفي هذا الجانب الدقيق؛ قال العلامة البشير الإبراهيمي: "ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن، ومن السنة القولية والفعلية، ومن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقلين المستدلين؛ التي تقرن المسائل بأدلتها، وتبين حكمة الشارع منها؛ لكان فقههم أكمل، وأثاره الحسنة في نفوسهم أظهر، ولكانت سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن وأنفذ، ويدهم في ترويضهم على الاستقامة في الدين أعلى"⁽²⁾، وهنا نجد العلامة الإبراهيمي يعدّد المحامد العلمية لفقه الدليل، ومنها ما يأتي:

- ربط المسائل الفقهية بأدلتها، وبنائها على أصولها الصحيحة من أدلة الوحيين، والاستعانة في ذلك بالأصول والمصادر الفقهية التي بناها مؤلفوها على النفس الفقهي الاجتهادي، ممن استدلّوا فاستقلّوا.
- قرن الأحكام الشرعية بأدلتها الصحيحة، مع الحرص على تبين حكمة الشارع إن علّمت وتجلّت، وبذلك يجمع الدرس الفقهي بين ثنائية؛ الحكم والحكمة.
- الآثار المحمودة لفقه الدليل، ودوره في تعزيز مكانة الفقهاء، وتأصيل الفقه، وحفظ المرجعية الفقهية الإسلامية من الاتجاهات الدخيلة، والأحكام غير المؤصلة.
- تمتين سلطة المفتين على المستفتين من العامة، واستثمار دور الدليل في قوة الفتوى ونفوذها في نفوس متلقّيها، ولا يخفى ما في هذا المسعى من تحصين للأمة في مرجعيّتها، ولهذا كثيرا ما نجد صحيح الإمام مسلم حاضرا بين الموارد الحديثية الأصيلة⁽³⁾؛ في بناء الفتوى والاجتهاد لدى علماء الجزائر في القرن 14هـ.

لا بد في الأخير من التنبيه؛ بأن دعوى الاستدلال على المسائل والاجتهادات الفقهية، لا بد أن تبقى في

(1): الزواوي أبو يعلى، الإسلام الصحيح، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، (ج: 04، ص: 148).

(2): الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (ج: 03، ص: 298).

(3): يُنظر: د/ محفوظ بن صغير، العلامة أحمد حماني شيخ الإفتاء في الجزائر؛ المنهج والضوابط، تقديم: أ.د/ حامدي عبد الكريم، (روبية- الجزائر: دار الوعي، د/ط، 1436هـ-2015م)، (ص: 188).

سياقاتها العلمية الصحيحة، ومساراتها المعرفية الشرعية المعتمدة؛ القائمة على تنقية الفقه من الدخيل، وتطهيره من الضعيف المردود، وتأصيل مسائله على طريقة السلف الأول، أما أن تتخذ هذه الدعوى مطية سوء، أو تُحمّل ما لا تحتمله من الدعاوي والأحكام؛ فذلك ما لم يقصده العلامة البشير الإبراهيمي ولا غيره من علماء الجزائر، فلا يُفهم منه ازدراء الفقهاء، أو الحطّ من كتب الفقه المجردة من الدليل، أو منع التمهيد مطلقاً، فضلاً عن إلقاء هذه الدعوى إلى صغار طلبة العلم، ومن هم في بدايات صناعة الملكة الفقهية، وفي هذه المسألة الدقيقة قال العلامة البشير الإبراهيمي -عن الجزائريين-: "...وكانوا بوحدة المذهب السائد في الفروع -وهو مذهب مالك- في مأمّن من اختلاف الرأي، أو الاختلاف في الحكم، وهي خصوصية قل أن توجد في غير شمال إفريقيا"⁽¹⁾، فهو يعتبر وحدة المذهب المالكي السائد في الفروع؛ خصوصية محمودة، ومسلكاً عاصماً من الفرقة والاختلاف.

شملت العناية بصحيح الإمام مسلم عند علماء الجزائر في القرن 14هـ؛ أن انتقوا أحاديثه، واختاروا مروياته في دروس الوعظ والإرشاد⁽²⁾، وفي مجامع العامة ومجالسهم؛ في المساجد والنوادي والجمعيات، ولا يخفى ما هذا الصنيع؛ من تعريف للعامة بالمصادر الحديثية المعتمدة، وربط للمتأخرين بمصنفات المتقدمين الصحيحة.

في فرع الدفاع والمنافحة عن صحيح الإمام مسلم؛ لم يُعدم علماء الجزائر في القرن 14هـ جهداً، سواء ضمن الدفاع عن دواوين السنة ومصادرها عموماً، أو الثناء على الصحيحين وتقديمهما، أو تخصيص صحيح الإمام مسلم بالذكر والعناية، ولكنهم رغم هذا؛ دعوا إلى التحقيق والتحري في المرويات، كما نفوا العصمة عن الصحيحين، وأقرّوا بوجود رواية في الصحيحين قد تُكلّم فيهم طعنا وتضعيفا، كما ذكروا بوجود التفريق بين مرويات الصحيحين؛ كونها لم ترد جميعها في سياق الاحتجاج والاستدلال، كلّ ذلك على أصوله العلمية المعتمدة عند أهل الحديث، مع الاستحضار الدائم لتلقي الأمة لهما بالقبول والاعتبار، "وتلقي الأمة بالقبول إنما أفاد وجوب العلم بما فيهما من غير توقف على النظر فيه، بخلاف غيرهما؛ فلا يُعمل به حتى يُنظر فيه، وتوجد شروط الصحيح"⁽³⁾.

5/ خاتمة

في هذه الورقة البحثية المركزة؛ حاولنا الإجابة بموضوعية عن الإشكالية التي سبقت في المقدمة،

(1): الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (ج: 05، ص: 74).

(2): يُنظر: الميلي مبارك بن محمد، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين؛ الإمام مبارك بن محمد الميلي، جمع وإعداد: د/ أحمد رفاعي الشرفي، (عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2011م)، (ج: 01، ص: 234-244).

(3): الزواوي أبو يعلى، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، (ج: 02، ص: 50).

وسنسى في خاتمه إلى إجمال النتائج المعرفية التي توصلنا إليها، وإيراد التقارير العلمية الأساسية، ولعلّ أهمها في هذا المقام ما يأتي:

- عناية علماء الجزائر في القرن 14هـ بصحيح الإمام مسلم من كل جوانب العناية المعتبرة؛ تحملا وأداء، ورواية ودراية، وذلك على أصوله وقواعده عند علماء المسلمين.
- اعتناء علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم؛ إجازة واستجازة، وقد تجلّى هذا الجانب من جهتين؛ سواء بين علماء الجزائر أنفسهم، أو بينهم وبين غيرهم من علماء حواضر العالم الإسلامي.
- جمع درس صحيح الإمام مسلم عند علماء الجزائر بين المحلية والامتداد، ذلك أن علماء الجزائر قد خدموه في الجزائر وخارجها، ففي الداخل؛ ذكرنا الشيخ محمد باي بلعالم، وفي الحرم المكي الشريف؛ مثلنا بالعلامة محمد العربي التبانى السطيفي، والعلامة محمد وعلي مداغ المايبي.
- شمول درس صحيح الإمام مسلم في الجزائر خلال القرن 14هـ لمختلف مؤسسات الدرس الحديثي؛ وأهمها: المساجد والزوايا، والمدارس والمعاهد.
- وجود جهود علمية تبين اعتناء علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم في القرن 14هـ، مع ملاحظة كون أكثر هذه الجهود وأغلبها؛ سماعية شفوية، وهو ما يلحقه بالوصف العام للدرس الحديثي الجزائري في تلك الفترة.
- شمول درس صحيح الإمام مسلم عند علماء الجزائر لمختلف فئات الأمة، ذلك أنه خاطب المستويات العليا؛ للعلماء والطلبة والمشتغلين، ولكنه لم يهمل العمال والفلاحين، كما في صنيع الشيخ محمد باي بلعالم، وخطة علماء الإصلاح في رحلاتهم العلمية، ودروسهم الوعظية.
- عموم درس صحيح الإمام مسلم للإصلاحيين والطرفيين معا، فلم يختصّ بالعناية به فريق دون آخر، وهو ما يؤكّد بأن هذا المصنف كان مصدر التقاء واجتماع بين مختلف المدارس والاتجاهات.
- لاعتناء علماء الجزائر بصحيح الإمام مسلم في القرن 14هـ أسباب كثيرة، لعل أهمها؛ الاستجابة للنزعة الاستدلالية العامة، وانتعاش الرواية الحديثية، إضافة إلى انتقاء مقررات العلوم الإسلامية للمدراس والجامعات.
- تصنيف درس صحيح مسلم في الجزائر ضمن التعليم المقاوم، ذلك أن علماء الجزائر كانوا يستعينون بدرسه في إيقاظ الأمة، ومقاومة الجهل الذي فرضه الاحتلال الصليبي الفرنسي.
- حرص علماء الجزائر على انتقاء شروح صحيح الإمام مسلم، ومن أكثر شروحه حضورا عندهم؛ شرح المنهاج للإمام النووي، وشرح أبي الرّوح الزواوي.

- حضور مرويات وأحاديث صحيح الإمام مسلم في مختلف فروع الدرس الإسلامي؛ العقدي، والفقهي، والوعظي الإرشادي.

5/ قائمة المصادر والمراجع

- 01- الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (روية - الجزائر: دار الوعي، ط/01، 1997م).
- 02- د/ إبراهيم بن الصديق، التليدي محمد بن عبد الله، تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، (بيروت - لبنان: دار البشائر الإسلامية، ط/01، 1416هـ-1995م).
- 03- الأبي أبي عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني التونسي، إكمال إكمال المعلم، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، د/ط/ت).
- 04- إجازات العلامة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي الحسني، جمع وإعداد: أنس محمد القاسمي الحسني وعبد المنعم القاسمي الحسني، (المسيلة- الجزائر: دار التوفيقية، ط/01، 1433هـ-2012م).
- 05- بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، (الحراش- الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، د/ط، 2015م).
- 06- ابن باديس عبد الحميد، إملاء العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تعليق وتحقيق: محمد الحسن فضلاء، (قسنطينة- الجزائر: دار البعث، ط/01، 1406هـ-1985م).
- 07- بن علجية لحسن، الدر النفيس في إجازات ومرويات الإمام عبد الحميد بن باديس، (بيروت - لبنان: دار ابن حزم، ط/01، 1435هـ-2014م).
- 08- بن علجية لحسن، محمد حمدان بن أحمد الونيسي القسنطيني المدني؛ حياته وآثاره، (درارية - الجزائر: دار مساحات المعرفة، ط/خاصة، 2015م).
- 09- البوعبدلي المهدي، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، الحياة الثقافية بالجزائر، (الحراش- الجزائر: دار المعرفة الدولية، ط/خاصة، 2013م).
- 10- التبسي العربي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين؛ الشيخ العربي التبسي، جمع وإعداد: د/ أحمد رفاعي الشرفي، (عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2011م).
- 11- الحجي أبو زكريا صالح بن سليمان، الثمر الينيع في إجازات الصنيع، (الرياض - السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط/01، 1431هـ-2010م).
- 12- حسن المشاط المكي، الثبت الكبير، د-تح: د/ محمد بن عبد الكريم بن عبيد، (مكة المكرمة-السعودية: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د/ط، 1426هـ-2005م).
- 13- حماني أحمد، محاضرات ومقالات الشيخ العلامة أحمد حماني، جمعها واعتنى بها: عبد الرحمن دويب، (المحمدية - الجزائر: عالم المعرفة، ط/02، 2015م).
- 14- الزواوي أبو يعلى، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، محمد الأمين فضيل، (درارية - الجزائر: دار زمורה، ط/خاصة، 2013م).
- 15- أ/ زينة مومني: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح مسلم، (مجلة الإحياء، جامعة الحاج لخضر- باتنة/ الجزائر، العدد: 15، سنة: 1434هـ-2012م).
- 16- د/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (المحمدية- الجزائر: عالم المعرفة، د/ط، 2017م).
- 17- ضيف مصطفى، إجازات حديثية جزائرية، (المسيلة- الجزائر: دار التوفيقية، ط/01، 1433هـ-2012م).

- 18- عبد الحليم بن خضير بوبكر، الفقيه الصوفي الشيخ محمد وعلي مداغ اليديري المايبي؛ حياته وآثاره، (برج بوغريج- الجزائر: دار أبجديات، د/ط، 2013م).
- 19- عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، (روبية - الجزائر: دار الوعي، ط/01، 1434هـ-2012م).
- 20- د/ عمار طالي- عبد المالك حداد، ابن باديس من خلال الإجازات والوثائق وتقارير المخابرات الفرنسية، (المحمدية - الجزائر: شركة الأصالة للنشر، د/ط، 2017م).
- 21- الغوري سيد عبد الماجد، موسوعة علوم الحديث وفنونه، (دمشق- سوريا: دار ابن كثير، ط/02، 1433هـ-2012م).
- 22- د/ فيلاي عبد العزيز، عبد الحميد بن باديس؛ مرحلة التحصيل والتكوين، (عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2014م).
- 23- د/ فيلاي عبد العزيز، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية، (عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2012م).
- 24- مجموعة من الأساتذة، إشراف: رايح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (بئر توتة - الجزائر: منشورات الحضارة، د/ط، 2016م).
- 25- د/ محفوظ بن صغير، العلامة أحمد حماني شيخ الإفتاء في الجزائر؛ المنهج والضوابط، تقديم: أ.د/ حامدي عبد الكريم، (روبية- الجزائر: دار الوعي، د/ط، 1436هـ-2015م).
- 26- د/ مسكين ضوء سالم، الحديث بإفريقية من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، (قبلي- تونس: الدار المالكية، ط/01، 1440هـ-2019م).
- 27- الميلي مبارك بن محمد، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين؛ الإمام مبارك بن محمد الميلي، جمع وإعداد: د/ أحمد رفاعي الشرفي، (عين مليلة- الجزائر: دار الهدى، د/ط، 2011م).

